القارئ

لا أدرى بالضبط متى عرفت ذلك، محتمل قبل وقت طويل وبعيد جدا، ومحتمل ايضا اننى ما انتبهت قط قبل الآن، أقصد قبل الأشهر الأخيرة، إذ دخل على ذى النجوم التى ما كان ليرتديها قبل بشارتى له.

القصة بدأت حين دخل يريد صورا أربعة فى ستة بخلفية بيضاء، دار حوار عادي، وأنا أداعب وأقول إنه مهم وواضح من شكله انه مهم للغاية، متركزش فى الكاميرا. خلى نظراتك ناعمة، مش مركزة وحادة، الصورة فى جزء من الثانية، كمان واحدة أخرى أهه دى حلوه. انت بتشتغل فين بالضط، وبنظرة نصف مفتوحة قال: حاول أنت أن تخمن وبسرعة استنتجت إنه فى أمن الدولة وإنه فى التحقيق الخاص بقضية كانت محور أحداث الساعة، كان التخمين صحيحا، قرأت تعابيره المذهولة، وأنا أسرد عليه أشياء فى صلب عمله وشخصيته المهنية، لم يتصور انى لم أعرفه قط أو أسمع عنه، من أين أتيت بكل هذه التفاصيل، أوضحت: عندما دخلت على الاستديو لاحظت أنك تفحصت المكان بدقة، وبمنهج خاص، عرفت كيف ستقف ولماذا وأين سيكون الباب الداخلى حتى

إنك كنت حذرا غريزيا وأنت تعطينى ظهرك، وتعدل هندامك مخافة أن يختل الترتيب أو تتغضن الأطراف، وقتها أدركت أنك فى منصب حساس يهتم بتفاصيل الأشياء، حتى سلوك يديك وجسدك يدلان على.. وعلى.. كان يتابع وقد بذل مجهودات فى إخفاء الدهشة، لم يكن منزعجا فالكلام معى له متعه خاصة أدركها فى شخصيتى منذ بعيد. أكملت دائرة الاستنتاج حتى ضحك، واعتبر الموضوع من أعاجيب الناس فى هذا الزمن، ثم. أصبح يقضى أوقات فراغة القليلة عندي، يتابعنى عن قرب، يخطر له أن يتساءل عمن يراهم من زبائني، ولماذا استنتجت من تصرفاتهم هذا وكذا، كنت اللغز الذى ينشط عقله فى حله بلا ضغط العمل أو الاستعجال، حتى كان اليوم الذى فاجأنى فيه!!

أتعرف الرجل الذى صورته منذ يومين، تقصد الفارع ذو الرأس الأصلع، بل أقصد من قلت عنه: أن عين الكاميرا أرتك أنه مقدم على جريمة، هذه كلماتك بالتحديد تذكرت: نعم. نعم ماله، استخدم يديه فى التعبير وكأنه يستعجب، لقد أقدم على قتل زوجته البارحة. صعقت: إلى هذا الحد كنت مصيبا، رد: ليست المرة الأولى يا أبو كريم فقد تحققت من عشرات الحالات حتى الجارة التى فى عمارة سعد والتى قلت عنها أنها توشك على أن تطرد من منزلها، طلقت وطردت فى منتصف الليل، وبجلبة كبيرة امام الجيران ويقينى أن السبب منها رغم ادعائها غير ذلك قلت: ومن أين اتاك هذا التأكيد سكت ثم أفصح: تأكدت وتحريت لأنها قصدتنى تستعدينى على من

كان زوجها، عندها قفز لذهنى انك رأيتها هى ولم تر زوجها وكان استنتاجك عنها لشيء فعلته تخفيه ويظهر لك فى حركتها ووجهها وسلوكها، ما كنت كرجل لتقبل ذلك وقد كان، أليس من المحتمل ان تكون مخطئا قلتها وأنا موقن أنه ليس كذلك، أعرف مدى دقته فيما يعمل، ويقول، ضحك: وماذا عنى أنا من شهر قلت لي: إنك على وشك الترقية وكنت أعلم ذلك، لم أعلنه لأحد ابدا حتى زوجتى أو زملائي، كانت معرفتى تختفى فى نفسى ومع ذلك عرفتها وتصادف ان أعلنت الحركة بعدها بأيام فى نطاق اصحاب الشأن ولم تنشر ولم أقل أيضا لأحد ورغم ذلك احتفيت بى يومها قلت إنها تهنئة منك لى بالترقية، وبسرعة تذكرت أنه أنكر تماما وكنت على يقين إنه يكذب لسبب ما، أيعقل هذا. ماذا تريد أن تقول لى سيادة العميد: إنى صاحب خطوة. هز رأسه: إطلاقا صاحب الخطوة لا يدانيك فى شيء لإنه لا يمكن أن يكون يقظ العقل هكذا، دعنى أعرف عنك كيف تصل لتلك النتائج، قل أنت ما تريد عن زائرنا القادم وأترك لى مهمة التأكيد على ما أدعيه، انخرطنا فى لعبة ما وراء الأسرار، عرفت الآن أننى أمتلك موهبة قراءة الأفكار، الأوجه، الأعين، حركات الجسد بمساعدة الكاميرا وعينها. تحليل الصورة والنظرة. تعطى انطباعات ما للعين اللماحة تفسرها إشارات المخ فأقول وانطق عفو الخاطر بما أعرفه ليس جد يقين إن هو إلا انطباع ولشدة ما أدهشنى مع طول التجربة، إنه صدق وبنسبة تسعين بالمائة، الخطأ يكمن فى تفسير بعض الكلمات ذات المعانى المتعددة، ويحكم الخطأ

البشرى أسهو عن تفصيلة أو أكثر، تطورت الأمور لدي، أحمل تصريحا بزيارة صديقى العميد فى أوقات كثيرة، اصطحب كاميراتى لألتقط له وهو يحقق ويتقابل مع زائرية لقطات فريدة حقا، يدعى أنها تذكارية لعمله وربما لكتابة مذكراته فيما بعد أنا أعرف السر، إنه تحليل الحركات والعيون وطريقه رد السؤال مثل ما تتبناه الأجهزة الاستخباراتية من تحليل للكلام والأفكار، لا أدرى لماذا لا يوجد كثيرون قادرون مثلى على ذلك، رغم أن منطقة الشعور تأخذ طريقها نحو الوجه مباشرة أقصد أن كثيراً من الانفعالات تحدث، زيادة إفراز العرق، التلعثم، اصفرار الوجه حين نواجه بما نخاف أو ما صنعناه من أخطاء، كنت وصديقى عميد أمن الدولة نعرف كيف نستفيد من هذه الهبة الألهية، أقصد هو يستفيد، أنا اخذ فقط حساب ما التقط من صور، حوارات وتحليلات تمتد بنا حتى طلوع الفجر، تساؤلات الضباط أحياناً: لما انتظر العميد كل هذا الوقت فى المكتب المجاور، قالها ذات مرة لواء وقد أخذ العميد إلى جانب: سأرفع مذكرة لمدير الأمن بتسمية المكتب هذا باسم قريبك المصور محمد إسماعيل. انت تقول أمامه أشياء خطيرة. اصرفه بمجرد انتهاء عمله ولم تشفع حجج العميد فى إبقائى وكإنقاذ لماء الوجه استجاب لأخذ صورة جماعية لفريق التحقيق وهو يباشر عمله فى تلك القصة، أنا لا أحلم ولا أتكلم لا يمكن أن يعرف غيرى سر ما نعمل، حتى لو بعد ألف ألف تجربة، ما نفعله يا عزيزى سر، وخطير أيضا، أنت تضيء عود ثقاب فى قلب متاهة

مظلمة الأركان، يتدخل فى التحليل آلاف آلاف الشفرات التى تعجز ويعجز عنها العلماء، من يملك قدره قراءه أفكار الآخر، قوة فى حكم الأعجوبة، أو تدرى إن أنت أذعت السر ما يحدث لك، كان سؤالا خارقا للتابوت المدفون فى أعماقنا. افاد صديقى كانت عبارات التكريم والاحتفاء به تتناثر فى كل مكان. عمله يجعله يقوم على فتح صندوق اللغز ومعرفة الأسرار المخبوءة فى باطن مجرم، فاسد، سفاح. تلك الشهرة فى حل قضايا صعبة أفادت فى جعل وجودى معه فى المكتب من وقت لآخر مسموحًا به، هو أيضًا حاز لقب كولومبو مصر وأصبح هدف الصحف لكن أنا. أنا موهوب اللعبه ماذا سأجني، علاقات، تسهيلات، لا يجرؤ مخلوق على الإضرار بك، كل المرموقين صاروا من زوار الاستديو، حتى أفراح الضباط الشبان صرت مصورها الأساسي، هذا تعويض عن أسرار العمل معى وأمان لك وتبرير اقترابك منا، أو تدرى كم الأجرام القابع فى حنايا وزوايا مدائننا ولا تصل إليه يد ويقع البعض مصادفة بين جفون الكاميرا وملاحظة البسطاء من الناس، ريبة مار أو سائق أو بواب، الناس تعرف ان تلك جريمة لكن الأغلب لايخبر أحداً. يشبعنى انى افعل ما يعجز عنه الغير ثرثرتى جعلت من جزء السر العقلانى ينفضح أمام الأشرار، صورته أكثر فى جلسات التحقيق، باغتنى بسؤال: إلى أى صحيفة تعمل، أجبته فى ثقة: أنا التقط الصور لمساعدة الباشا، أحسست أنى فتقت السر أطل على بعينين فيهما دهاء وغدر الذئب، لديه شركاء فى تنظيم إجرام عالمى داهنت

على ألا يصل لشيء، ألا يعرف دورى فى اللعبة، نسيت مع الأيام خطورته بعد أن أعطته النيابة استمرار حبس، حتى دخل على ذلك الشاب، عيناه ساهمة ساكنة مثل أعين الأسماك الميتة، تذكرت فى الحال أسماك القرش، طلبا صوراً عديدة وأن أتفرغ له ادعى إنه موديل، الصور تلزمه جداً لمخرجى الإعلانات. يكذب. يكذب، كان يحمل حقيبة صغيرة، بها أكثر من طاقم ملابس للتصوير، انتهزت الفرصة قلت: إذن هم بتبديل ملابسك فى الداخل بينما أغلق المحل بلافة مغلق للصلاة حتى لا يقاطع عملنا أحد، كانت ثوانى فارقة بين الموت والحياة، أسرعت أغلقت عليه الباب الزجاجى من الخارج، عدوت بأقصى سرعة نحو سيارتي، لأنطلق فى زحام القاهرة واختفى نهائياً، فلن يستطيع أحد حمايتي، أعرفهما تلك الوجوه الخطيرة هى محور عالمى الآن، أصبحت على قائمتها.

أصبحت بلا عنوان.